الفصل الثامن

المدارس الداخلية الخصوصية:
الحب الفظ أو تكليف الآخرين بالعمل الجوهري

منذ بضع سنوات، شدني الفضول إلى كتاب كان يقرأه بحماسة أولادي الأكبر وعدد من أصدقائهم، فقرأت رواية لويس ساتشر التي حققت نجاحاً كبيراً، والموجهة إلى المراهقين واليافعين والتي تحمل عنوان ثقوب.[1] تروي هذه الرواية، التي فازت بجائزتي نيوبيري وناشنال بوك، قصة فتى أُرسل، دون سبب مقنع، إلى مؤسسة على النمط العسكري خاصة بالمراهقين، وتدعى بنحو ساخر معسكر البحيرة الخضراء. والمفارقة في الأمر هو أن المكان هو سجن أكثر مما هو مخيم، لا شيء أخضر، ولا يوجد بحيرة. ورغم أنه أحياناً يستخدم كإسم من أجل السخرية، فإن مخيم البحيرة الخضراء أدهشني كابتكار مخيف حقاً: فهو مؤسسة تديرها سلطات سادية يقوم نشاطها الرئيسي، باسم بناء

الشخصية، على إجبار المراهقين الظامئين والمنهكين على حفر ثقوب في الصخور تحت شمس تكساس اللاهبة.

لحكاية ساتشر نهاية سعيدة، لحسن حظ القراء الأصغر الذين سيجدونها سوداوية جداً. مع ذلك تبين، وكما لم أعلم لدى القراءة الأولى للقصة، أن مخيم البحيرة الخضراء بعيد عن كونه من اختراع الخيال فحسب. فالرواية تقدم بالفعل المزيد من الوصف لواقع بعض المراهقين الأميركيين أكثر مما يدرك معظم الناس. فمن بين التحولات الأخرى التي يمكن أن تقول لنا شيئاً ما عن حال الأطفال والمراهقين اليوم، فإن التحول الجدير بالانتباه هو التوسع الذي بلغ عشرة أضعاف أثناء هذا العقد الأخير في المؤسسات الخصوصية التي تقدم رعاية على مدار الساعة خارج المنزل وإشرافاً على المراهقين الأطفال الأكثر غنى الذين يعانون من مشكلات.

بخلاف الأجيال السابقة، يمتلك الآباء الأميركيون اليوم، الذين يعتقدون أن أبناءهم المراهقين سيكونون أفضل حالاً إذا عاشوا في مكان آخر، عدداً كبيراً ومكلفاً جداً من المؤسسات التي يختارون منها، وبينها مدارس داخلية علاجية، ومدارس للنمو العاطفي، ومدارس إقامة للعلاج، ومعسكرات تدريب، وبرامج في البرية. وينبغي ألا تُخلط هذه المدارس الخاصة بالمدارس الداخلية التقليدية، التي تُشدد على إنجازات أكاديمية وأخرى معيارية. على العكس: فقد أنشئت وصُممت بدقة كي تلبي حاجة لا تلبيها

المدارس التقليدية الإعدادية والخاصة ولا تستطيع: رعاية كاملة خارج المنزل، رعاية معدلة لسلوك مراهقين يعانون من مشكلات عاطفية وغيرها.[2] وهذه ظاهرة مخترعة حديثاً، وغير مسبوقة. وكما عبرت الصحفية سارا ريمر عن الأمر في مقال نُشر في عام 2001 في **النيويورك تايمز**، إنها "صناعة بملايين الدولارات انطلقت بقوة في الأعوام العشرة الأخيرة لإرضاء ما رآه كثيرون بأنه سوق مزدهرة في التنشئة الأبوية المستعجلة".[3]

إن نمواً بلغ عشرة أضعاف في العدد نفسه من الأعوام هو حقيقة هامة بحد ذاتها، ولو تجارياً فحسب. ولكن النمو الذي بلغ عشرة أضعاف في هذه الصناعة المحددة تجمعه صلة واضحة ومباشرة مع سؤال واحد يُثار بنحو متكرر في هذه الصفحات: هل بعض المراهقين الأميركيين في حال أسوأ من المراهقين الذين أتوا قبلهم؟ هنا مرة أخرى، في حالة المدارس الخصوصية، ثمة دليل موح أن الجواب بالنسبة لمراهقين معينين هو نعم. وكي نعبر عن هذا النمو الذي بلغ عشرة أضعاف بطريقة أخرى ينبغي أن نلاحظ هذه النتيجة الطبيعية: يُقال الآن إن العدد نفسه من المراهقين تقريباً "يعاني من مشكلة" ويُرسل إلى مدارس داخلية معدلة للسلوك أكثر مما حدث قبل عقد.

من أين يأتي هذا النمو الضخم للصناعة؟ لماذا الآن، وما الذي يخبرنا؟ هذه الأسئلة مختلفة عن التحقيقات التي تحفّزها المعطيات حول بعض الموضوعات الأخرى المتناولة في هذا الكتاب ـ كما يجب

أن تكون ـ لأن حقيقة المراهقين الممثلة من قِبَل نظام المدرسة الخصوصية هي بحد ذاتها فريدة. إنها، على سبيل المثال، أصغر بنحو ملحوظ من اتجاهات أخرى وُصِفَتْ سابقاً، وتتضمن الآلاف بدلاً من ملايين من المراهقين. إنها أيضاً أكثر سوداوية بمعنى أن الكثير من الضوء يجب أن يُسلط عليها. ورغم قصص استقصائية عديدة مفصلة لا يوجد إلا معالجة واحدة في كتاب كامل، وهذه المعالجة هي الجدل المتحزب. مع ذلك إنها قصة تقدم دليلاً غير قابل للجدل حول صلة أخرى واحدة بين غياب الوالدين والأذى الذي يلحق بالأطفال الذين يعانون من مشكلات واضحة.

سوق مزدهرة

إن الشيء الأول الذي يجب أن يُقال عن المدارس الخصوصية هو أيضاً الأقل إثارة للجدل: التجارة تزدهر. ففي عام 1991، تحدثت سارا ريمر في مقالها الذي نشرته في **التايمز** عن وجود "دزينتين على الأرجح" من برامج كهذه للمراهقين الذين يعانون من مشكلات. بعد عشر سنوات، اعتبرت 250 مدرسة ذات سمعة كافية كي ترخّصها جمعية المستشارين التربويين المستقلة، والتي قدرت أيضاً أنه كان هناك مئات أخرى تعمل لم تُرخص بعد. قالت إنها مدارس جديدة، تُفتح بنسبة ثلاث مدارس في الشهر.

تؤكد إجراءات أخرى غير مباشرة هذا النمو المذهل. بالنسبة لعام 2001، على سبيل المثال، ضمّتْ جمعية المستشارين التربويين المستقلين - والتي هي من بين عدة منظمات إحالة نمت بسرعة مع المدارس الخصوصية - 365 عضواً، وهذا "أكثر من ضعف" محصلة عقد سابق، بحسب مديرها التنفيذي. مرة ثانية، وكما هو الأمر مع المدارس نفسها، هناك المئات من الوكلاء الذي يعملون بنحو غير رسمي خارج جمعية المستشارين التربويين المستقلين. وبنحو مشابه، أُنشئت الجمعية القومية للمدارس العلاجية، وهي منظمة أخرى أنجبتها المدارس، في عام 1999 "كي تخدم كمصدر قومي لبرامج ومهنيين يساعدون الصغار الذين يعانون من صعوبات عاطفية وسلوكية"، كما قال موقعها على الإنترنت. وتشدد أدبيات الجمعية القومية للمدارس العلاجية كذلك على التوسع السريع للحقل.[4]

حتى الآن ثمة اتفاق بأن هناك طلباً متزايداً على المؤسسات التي تقدم رعاية نهارية ورعاية ليلية للمراهقين. وكي نغامر خارج هذه النقطة حول المدارس يعني الدخول في مستنقع من النقد اللاذع، فيه معسكرات متخاصمة بوحشية من مراقبين يوظفون مفردات مختلفة لوصف ما يجري. بالنسبة للمدراء وبعض الآباء الممتنين، تعمل المدارس الخصوصية، مثل كاسا التي قرب البحر في المكسيك، كمنقذ لحياة مراهق إشكالية، هذا إذا لم نقل أي شيء عن "تجربة أجنبية تؤدي إلى تقدير أقوى للأسرة والعائلة"، (كما عبر عن ذلك أحد البروشورات). بالنسبة لآخرين، وبينهم بعض

المقيمين السابقين، إنها موطن شقاء وحرمان وغسل للأدمغة يُشرف عليه حراس متوحشون وممارسات معدلة للسلوك ستُعَدُّ اعتداءات يمكن أن تؤدي إلى السجن في الولايات المتحدة. وبنحو مشابه، بالنسبة للآباء والأمهات اليائسين الذين يستخدمونها مقابل 1500 دولار وأكثر، فإن الرجال الضخام الجثة الذين يأخذون أبناءهم المراهقين بالقوة إلى مدارس بعيدة (عادة دون كلمة وداع في المنزل) هم "مرافقون مدربون"، معروفون باسم "الغوريلات الصديقة"، والذين بدونهم لن يكون بوسع هذه التدخلات المنقذة للحياة أن تبدأ. وبالنسبة على الأقل لبعض المقيمين السابقين الذين نُقلوا هكذا، إن الغوريلات هم مختطفون، ووحوش. وكي ندخل إلى الجدل الجوهري حول المؤسسات الخصوصية، يمدح بعض المقيمين وأسرهم البرامج قائلين إنها أنقذت حياتهم، ويقول آخرون إنها دمرتها.

لا يمكن التعبير عن عمق الجدل حول هذه المؤسسات في بضع صفحات قصيرة، ناهيك عن الحكم عليها. ولكن كي نبدأ بفهم ما هو حقيقة جديدة هنا علينا أن نعترف على الأقل بهذا الكثير: إن أدبيات التزكية المبتهجة بشكل عدواني التي تقدمها المدرسة ووكالات الإحالة تُقرأ بنحو غريب جداً إلى جانب التفاصيل القاسية حول الحياة اليومية في بعض المدارس كما سجلها مقيمون سابقون وتقارير التقصي.

تبعت مقالة **النيويورك تايمز** المذكورة سابقاً مقالات استقصائية أخرى مفصلة حول الظاهرة نفسها أعدها صحفي آخر، هو تيم واينر (أيضاً في التايمز).[5] فمقالات تيم واينر، المستندة إلى مئات المقابلات مع المشاركين في معادلة المدرسة الخصوصية من مختلف المشارب، هذه المقالات التي نوقشت بعنف من قِبل بعض الآباء ومدراء المدارس، تقدم وصفاً مخيفاً لهذا الشكل الجديد من مأسسة المراهقين، على الأقل كما قال بعض الآباء والمقيمون السابقون.

"كان رايان فريدنبرج في الرابعة عشرة حين أحضر إلى هنا (إلى مدرسة خاصة في المكسيك) مقيّداً، وهو يرفس ويصرخ" تبدأ واحدة من عدد لانهائي من القصص التي رواها واينر.[6] "رجلان يحملان أصفاداً وأغلالاً للقدمين جاءا إليه في منزل والدته في ساكرمنتو، كاليفورنيا، دفعاه إلى عربة وقيّدا قدميه ويديه. ثم نقلاه لمدة اثنتي عشرة ساعة نحو الجنوب، عابرين الحدود المكسيكية، إلى بناء ذي سور مرتفع في المنطقة يُدعى المنزل الذي قرب البحر".

هناك واجه رايان ما يدعوه البعض بـ "تعديل السلوك"؛ احتج والداه فيما بعد أنهم عاملوه "كحيوان في قفص". فالعقوبات الخاصة بالانتهاكات اشتملت على الاستلقاء على الأرض في غرفة معزولة، أحياناً لأيام، أو الوقوف وأنفه على الجدار لعدة ساعات. ولم يتم التشجيع على الكلام إلا حين يتم التحدث إليه، وكانت

الرأفة ممنوعة. وفي ظل بنية السلطة القوية والإشكالية بنحو يثير الجدل، والتي تقود المدرسة، كان يفرضُ النظام جزئياً أحداثٌ أكبر "ارتقوا" إلى مستويات يستطيعون فيها الآن أن يفعلوا مع المقيمين الأصغر ما فُعِلَ لهم سابقاً. كفرض عقوبات العزل والإرهاق الجسدي (البعض يقولون الألم) لأيام.

تبين أن قصة رايان غير عادية؛ وقد أخرجه والداه، على عكس كثيرين، من المؤسسة قبل الأوان وكررا قول أنهما ندما على وضعه هناك. وتظهر هذه الحالة، بطرق أخرى كثيرة، على أنها نموذج لقصص أخرى يرويها واينر ـ وهنا تتوقف قصة التقصي الحقيقية ـ وبنحو ملحوظ على عكس تلك الأجيال السابقة التي تُرسل إلى مدارس إصلاح تقليدية، لم يكن رايان فريندبرج مجرماً. كان مهملاً، في الحقيقة، وكان والداه مشغولين بأمور أخرى.

يقول واينر إن كثيراً من الشبان في هذه المدارس "لم يُطلبوا من قبل الشرطة أبداً، أو لم يتنالوا المخدرات"؛ وتؤيد مصادر أخرى كثيرة تقاريره وتقارير أخرى في هذا الصدد.[7] فقد قال مدير أحد المؤسسات لواينر: "إن حوالي 70٪ " من المقيمين ليسوا "متطرفين"، ولكنهم الأطفال الذين "لا يستطيعون التواصل في المنزل".[8] وبنحو مشابه، هناك خدمة إحالة تُدعى حلول أزمات المراهقين (على الإنترنت) تصف مرشحاً نموذجياً للمدارس الخاصة بهذه المصطلحات: "لدى الدخول، يمتلك الطلاب بعامة

تاريخاً من سوء اتخاذ القرارات، لا يحترمون الآخرين ويلومونهم لما حدث في حياتهم. يمكن أن يكون هناك القليل من التواصل أو لا يكون التواصل صادقاً مع الوالدين". لاحظوا ما لم يُقل هنا: العنف، الميل إلى الانتحار أو إلى ارتكاب الجريمة، السجل الإجرامي، وكلمات مثيرة للغضب أخرى. والحقيقة الآسرة، التي دوّنها واينر بنحو جيد بخاصة، هي أنه ليس الإجرام والحالات الصعبة هو ما تدفع الازدهار في المدارس الخاصة، وإنما بالأحرى، حالات رمادية تشتمل عواملها المشتركة على بعض الأمور التي هي خارج تحكم أي مراهق: "الطلاق، والتبني، والمخدرات، والجنس، واحترام الذات المتدني، وأعراض اضطراب العجز عن الانتباه واضطراب العجز عن الانتباه الناجم عن فرط النشاط، ووفاة الوالدين".

وكمثل كثير من المراهقين الذين روى واينر قصصهم، كان رايان فريدنبرج رمزاً لسكان المدرسة الخصوصية بطريقة أخرى: كان والداه "وسط طلاق مرير ومعركة وصاية"، أثناءها قررا معالجة ولدهما المهمل بإرساله إلى إحدى المدارس التي لا يستطيع التغيب عنها ريثما يحلان الأمر. وفي الحقيقة، تعود جميع قصص هذه المدارس عاجلاً أم آجلاً إلى كلمة طلاق. وهكذا من الشائع لمجموعة المقيمين المحتملين أن يقدم بعض المستشارين التربويين "نصائح حول الوصاية" لدى الطلب. وأخيراً، رايان هو نموذج لكثير من القصص الأخرى التي يرويها واينر بطريقة أخرى: إن آل فريدنبرج هم أغنياء.

هذا لا يعني أن جميع المراهقين المحجوزين الآن في النظام الخصوصي يمثلون عائلات غنية. على الأقل هناك أم واحدة أبلغ عنها واينر كان عليها أن ترهن المنزل كي تؤمن النقود، أما الحوافز المالية التي تقدمها كثير من المؤسسات فتوحي أنها عبء على بعض العائلات. (نموذجياً، يتلقى المرء تخفيضاً كبيراً في الرسوم من أجل النجاح في تزكية مراهق شخص آخر يعاني من مشكلة). وحتى هكذا، يبدو كأن الأغلبية الساحقة من الآباء والأطفال من الطبقة الوسطى، ومن المرجح أكثر من عائلات الطبقة الوسطى العليا التي يمكن أن تُعرف على أنها صفوة المجموعة. وبالفعل، يجب أن يكونوا هكذا لأن رسوم التعليم في معظم هذه المدارس الخصوصية يصل إلى ما بين أربعين ألف دولار وثمانين ألف دولار كل عام.

وتركز مقالات واينر على مظهر آخر مزعج من مظاهر المدرسة الخصوصية: فالمؤسسات تنتشر في أمكنة بعيدة جداً عن المشهد الأميركي والقانون الأميركي. فالمدارس الداخلية الخصوصية في الولايات المتحدة، كما يشرح، "واجهت تحديات قانونية وأخرى متعلقة بالترخيص متزايدة مع مرور الأعوام". وهكذا،" تنتقل أعداد متزايدة منها إلى الخارج ـ بعضها إلى المكسيك، أميركا الوسطى، أو منطقة الكاريبي ـ حيث تعمل بنحو كبير تحت رادار الضبط وحيث توظف أوصياء بأجر محدود أكثر مما توظف مدرسين ومعالجين". ويورد واينر أيضاً كلام رون ودبري، ناشر تقرير ينتقد برامج المراهقين المضطربين، الذي يقول إن البرامج الأميركية انتقلت إلى

الخارج "كي تتجنب قوانين وأنظمة الولايات". ويميل الرسم أيضاً إلى أن يكون أرخص في المؤسسات التي خارج البلاد. ولا عجب أن المدارس التي في الخارج، بحسب واينر، "تنمو بسرعة بحيث أن المسؤولين الدبلوماسيين الأميركيين في السفارات الخارجية يقولون إنهم لا يمتلكون فكرة عن عدد هذه البرامج".

هناك نقطة ثالثة أوضحتها مقالات واينر وآخرون وهي أنه رغم المحاولة للحد من الخلافات من خلال نقل المدارس إلى الشاطئ الآخر وبعيداً عن نطاق القانون، فإن اتهامات الاستغلال ضد المؤسسات الخصوصية تتكاثر. فجمعية المدارس الخصوصية الشاملة للعالم - والتي هي أضخم منظمات المدارس الخصوصية، وتعالج حوالي 2500 طفل ومراهق - هي مانعة صواعق خاصة. يقول واينر: "في السنوات السبع الماضية حققت الحكومات المحلية ووزارة الخارجية حول برامج مرتبطة بجمعية المدارس الخصوصية الشاملة للعالم في المكسيك، والجمهورية التشيكية، وساموا في تهم الاستغلال الجسدي وانتهاكات قوانين الهجرة".[9] فبعض المدارس تأزمت داخلياً في ظروف درامية (كما حين أغلقت السلطات في كوستا ريكو إحدى المدارس المعدلة للسلوك، تدعى دندي، على أسس تتعلق بانتهاك حقوق الإنسان). مع ذلك، كما توضح المدارس نفسها، إن الدعاوى القضائية لا تؤدي إلى نتيجة. وبحسب موقعها على الإنترنت، والذي يقدم صورة مختلفة جداً عن أسباب سخط الطلاب، قامت جمعية المدارس الخصوصية الشاملة للعالم برفع

دعاوى قضائية ضد بعض النقاد بسبب "تشويه السمعة، التآمر، والتدخل في التجارة".

وبغض النظر عن مسائل الدعاوى القضائية وما يمكن أن يتحدد تقنياً كـ "استغلال"، إن بعض الممارسات التي أبلغ عنها، والتي يمكن أن تكون قانونية تماماً هي مسببة للمشاكل. فكروا بأمثلة من إحدى مؤسسات جمعية المدارس الخصوصية الشاملة للعالم، وهي سبرينغ كريك أكاديمي في مونتانا. أخبر طالب مرشح سابق واينر: "هناك كثير من الفتيات اللواتي يتناولن مضادات اكتئاب يقدمها البرنامج لا يستطعن التحرك. لا يستطعن الخروج من السرير. إنهن كحيوانات ميتة". وتفيد أم عن ابنها أنه "فقد ثلاثين رطلاً من وزنه، ويتصرف كشخص غريب الأطوار... صار أسوأ، أسوأ بكثير". ويروي موظف سابق: " يأخذون الأطفال إلى جسر فيرمليون ليلاً، يعصبون أعينهم، ويدفعونهم في النهر؛ يذهبون إلى الغابات، ويعودون متأذين... يزعمون أن هذا يقوّي الذهن. أعتقد أن هذا يحطم الأطفال ويسحق إرادتهم. ويؤذيهم عقلياً وعاطفياً، كذلك".[10]

باختصار، ما تدعوه بعض المدارس بـ "الحب الفظ" هو بوضوح ما يعده بعض الناس (وبنحو مثير للجدل القانون، أيضاً) استغلالاً جسدياً وذهنياً. لهذا السبب إنه لمن المذهل أن المدير المساعد لسبرينغ كريك يردد صدى ما قاله "37 أباً وطفلاً وموظفاً "قابلهم واينر: "إن قلة من أطفال سبرينغ لودج هو جانحون".[11]

منقذون أم ساديون؟

هناك صحفية تقصٍّ أخرى شرّحتْ ظاهرة المدرسة الخصوصية، هذه المرة في مقال طويل من جزأين نُشر في المجلة البريطانية **أوبزيرفر ماجازين** في عام 2003، وهي ديكا أيتكنهيد.[12] ركز المقال على مدرسة صارمة هي **ترانكويليتي بي** في جامايكا (كانت أول صحفي سُمح له بالدخول طيلة خمس سنوات). وتطرح أيتكينهيد، التي اكتشفت قصة المدارس الخصوصية بعد أن مرت بمجمع ترانكويليتي المسوّر على الشاطئ أثناء رحلة إلى جامايكا، كثيراً من النقاط الشبيهة بنقاط واينر.

تقول: "إن الوالدين النموذجيين اللذين يضعان ابنهما في ترانكويليتي هما مشغولان وثريان"، وتقريباً في الطريق إلى أسرة ثانية؛"فالطلاق السيئ والزواج الجديد هما القاعدة بين هؤلاء الآباء". بالنسبة للطلاب، رغم أن كثيرين منهم جربوا المخدرات أو استخدموها بنحو روتيني، فإن مشكلات المخدرات لا تؤهل المرء للقبول. فترانكويليتي مثل معظم المدارس الأخرى المختصة بمشكلة السلوك، لا تقبل المدمنين الحقيقيين. ورغم أن بعض الطلاب جاؤوا إلى المدرسة بعد أن جاؤوا أولاً إلى المحكمة، لم تحدث مشكلات قانونية لكثيرين ولكنهم أرسلوا إلى هناك بدلاً من ذلك بسبب حالات خلل خفيفة: "الهرب من المنزل، النوم في الجوار، أو الطرد من المدرسة... ارتداء ملابس غير ملائمة، استخدام لغة سيئة، أو التسكع مع الأنواع غير الملائمة من الأصدقاء"، كما عبرت أيتكنهيد.

وكمثل واينر، تتحدث أيتكنهيد بالتفصيل عن الممارسات المعدّلة للسلوك التي هي بالتأكيد متطرفة بمعايير أي شخص، سواء كانت تنتهك أم لا القانون الأميركي أو الجامايكي:

يأخذهم الحراس (بالقوة إذا اقتضت الضرورة) إلى غرفة عارية ويجعلونهم (ثانية بالقوة إذا اقتضت الضرورة) يستلقون ووجوههم إلى الأرض، الذراعان إلى الجانبين. يراقبهم حارس، ويجب أن يظلوا مستلقين ووجوههم إلى الأسفل، ومن الممنوع أن يتحدثوا أو يحركوا عضلة إلا لعشر دقائق كل ساعة، حين يمكن أن يجلسوا ويتمددوا قبل أن يستأنفوا الوضعية. تُجلب إليهم وجبات متواضعة، وفي الليل ينامون على أرض الردهة في الخارج في الضوء الكهربائي وتحت بصر الحارس. في الفجر يستأنفون الوضعية... أخبرني أحد الفتيان أنه أمضى ستة أشهر في هذه الوضعية، لم أظن أن هذا يمكن أن يكون صحيحاً، ولكن رشح أنه لم يكن استثنائياً. ويقول المالك الأميركي لترانكويليتي بي: يتحدث السجل عن أنثى أمضت 18 شهراً مستلقية على وجهها.

وبالإضافة إلى هذه الأشكال وأشكال أخرى من تعديل السلوك الدرامية، لا تشجع ترانكويليتي بي، مثل كثير من المدارس الخصوصية الأخرى، الاتصال بين الطالب والمنزل، وتطلب من الوالدين أن ألا يلتفتا إلى الشكاوى حول المعاملة (على أساس أن الطلاب يمكن أن يكذبوا) بالنتيجة، إن استراتيجية هذه البرامج هي تحسين الاتصال بين الوالد والطالب من خلال، أولاً، منعه من

الاتصال بالآخرين. بالمناسبة، ترانكويليتي بي، تقبل طلاباً في الحادية عشرة.

إذا كانت تفاصيل مقالات التقصي كمثل قصص واينر وأيتكنهيد تثير أسئلة حول بعض المدارس الخصوصية، فإنها توضح أيضاً أن كثيراً من الآباء والمدراء يصدقون أن المدارس قاسية كالمسامير لأنها يجب أن تكون هكذا. فعملها الحقيقي هو إنقاذ حياة المراهقين. وفي الحقيقة، يعاني معظم الأطفال والمراهقين الذين كانوا في هذه المدارس من مشكلات حقيقية ومريعة. وقد حاول بعضهم مغادرة المنزل، وانخرط كثيرون في الجنس والمخدرات أو في كليهما، وعانى آخرون من مشكلات كمثل اضطرابات في تناول الطعام أو تواريخ من تشويه الذات. ويبدو أن هناك عدداً جيداً أيضاً له سجلات خاصة بفعلين معينين يمقتهما الوالدان: الفشل والخروج من المدرسة. فضلاً عن ذلك، يتحدث الثمن الباهظ للقبول بحدة عن حقيقة أن كثيراً من الآباء يعدّون هذه المدارس الملاذ والأمل الأخير. في النهاية، لا أحد، مهما كان غنياً، ينفق من أربعين إلى ثمانين ألف دولار في العام دون سبب جدي.

يقول عدد كبير من هؤلاء الآباء اليائسين إن المدارس مرسلة من الله. وقال أحد الآباء: "بالنسبة لولدي نجحت المدرسة. إنها لن تنجح بالنسبة للجميع. حين ترسل ولدك إلى هناك، فأنت تمنحه الفرصة الأخيرة كي يغير حياته". وتعترف أم طفل خلع له موظف

سنين وأمضى ثمانية أشهر في غرفة العزل: "إنهم قساة جداً جسدياً، ولكنني أعتقد أن البرنامج يساعد كثيراً من الأسر التي هي يائسة ولا تعرف إلى من تلجأ"، وبنحو مشابه تقتبس أيتكنهيد كلام أب أرسل ولده إلى ترانكويليتي بي والذي ينطق بلسان كثيرين: "إن الذين يقولون: هذا المكان بالغ القسوة، لم يكن لديهم أبداً أولاد يعانون من اضطراب. إذا انتقدته، فأنت لا تعرف ما الذي تتحدث عنه".[13]

يشكل امتنان الآباء أيضاً موضوعاً رئيسياً لمواقع الإنترنت وأدبيات التزكية للمدارس، والتي تتكاثر بسبب شهادات شخصية مثل هذه: "لم يساعد هذا البرنامج ولدي فحسب، وإنما أيضاً ساعد الأسرة أن تبقى سوية، وساعد الجميع كي يتعاملوا مع الحياة بطريقة أفضل، ويخوضوا المعارك المهمة، ويكونوا أشداء حين تقتضي الحاجة. وقد كان هذا البرنامج التجربة الأفضل في حياتنا، ونشكر الله كل يوم أننا عثرنا على مساعدة للمراهقين". وتبدو شهادات الطلاب كأنها شهادات امتنان. إليكم واحدة من أكاديمية سبرينغ كريك، إحدى المدارس الأميركية التي أثيرت حولها شكوك حقيقية: "أنا في المنزل الآن، وقد حققت تقدماً كبيراً. أنا في الثانوية في صف التخرج لعام 2001. أنا ألعب في منتخب كرة القدم ومنخرط جداً مع مجموعتي التي تؤم الكنيسة. أنا شخص يحترمه الآخرون الآن. وقد تم اختياري كي أمضي الصيف وأنا أعمل في إحدى مدارس البرنامج. كان رائعاً وجودي هناك وأود أن

أظهر امتناني لهذا المكان. بدون هذه البرامج، لن أكون بالتأكيد هنا، ولن أكمل كل هذه الأمور التي لم نفكر أنا وأسرتي أنها ستحدث أبداً. لقد أنقذتم حياتي". وتقول شهادة أخرى من طالب سابق في ترانكويليتي بي ما يتوق إلى سماعه جميع الآباء الذين يقرؤون الأدبيات: "أبي، لم أعتقد أبداً أنني سأقول هذا، ولكن شكراً لإرسالي إلى هنا".

باستثناءات قليلة، يميل المدراء والموظفون، الحاليون والسابقون إلى دعم البرامج بقوة. والمثال الخاص المهم كان مقالاً بصيغة المتكلم نُشر في سالون في عام 2000 بعنوان "كنتُ قاطعَ طرق مستأجراً للحب الفظ".[14] وفيه ترد الكاتبة شيرلي آفني، التي أمضت عامين تساعد في إدارة برنامج علاجي في البرية، على سؤال طرحه خرِّيج سابق من نظام المدارس الخصوصية: "كيف تنامين في الليل، عارفة ما فعلته للأطفال؟" كان جوابها كما بدا: تمهّلْ. يحتاج القراء إلى أن يفهموا فقط أي نوع من الأطفال ينتهي إلى أن "يتم التوسل إليه، يُرشى، يُخدع وأحياناً يُجر جسدياً من سريره كي يأتي إلينا". ليس هؤلاء ملائكة بوجوه قذرة ولكنهم " أطفال خارج السيطرة، مدمنو مخدرات، ينامون في الخارج، مزدرون، فاشلون، خاضعون لمداواة مفرطة، غير محترمين، بشعر أزرق، مطعونون أكثر من مرة، مصابون بالاضطراب الوسواسي القهري والعجز عن الانتباه وفرط النشاط، وعسر القراءة وهم عادة أطفال ملعونون تعساء".

تصف آفني أيضاً ما يأمل أن ينتجه البعض في الجانب الإداري لهذه المدارس: حوادث إيجابية درامية هناك توق إليها وأحياناً تُنجز تحت القيود الصارمة لاختبارات شخصية متطرفة. وتسمي هذه "المعجزات"، اللحظات التي يحصل فيها هؤلاء المراهقون القساة، الذين ينحنون أخيراً تحت الضغوط المقصودة للبرنامج، على لحظات تجليهم وإدراكهم الذاتي. وبعد التحدث بالتفصيل عن تجربة مراهق معين، يُدعى كارن، تشرح آفني لماذا تستطيع النوم في الليل: رأت شخصياً ما يعتمد عليه الآباء ومطورو البرنامج، فكرة أن "في الخارج، في الأودية، كان كارن القاعدة، وليس الاستثناء".

مع ذلك، وبنحو غير مفاجئ، وفي ظل هذه الشهادات المتأنقة يغلي عالم سري من الحقد والقدح. بالنسبة لبعض الطلاب السابقين المرشحين (والذين يعتبرون أنفسهم ناجين منه). تُعرف شبكة المدارس الخصوصية باسم "معسكر الاعتقال" فمعارضتهم هي أيضاً مُمأسسة بنحو متزايد، في الدعاوى القضائية، وعلى مواقع الإنترنت، حيث يتناقل الطلاب السابقون حكايات مرعبة عن تجربتهم. أحد قادة هذه المعارضة مراسلة سابقة للواشنطن بوست اسمها ألكسيا باركس. ففي كتابها الذي صدر في عام 2000 بعنوان **معسكر الاعتقال الأميركي: المعسكرات السرية للمراهقين**، تتحدث بالتفصيل عن محاولاتها لإنقاذ ابنة أخيها من مؤسسة كهذه؛ فهذه التجربة على ما يبدو حوّلت باركس إلى مناضلة. بالنسبة لها

ولكثير من الطلاب السابقين الذين يقدمون شهاداتهم المريرة في كتابها وفي مكان آخر، إن المدارس الخصوصية لم تُرسل من السماء، وإنما مطوقة بالجحيم. وتمثل "الارتفاع المتنامي بسرعة لصناعة استغلال الطفل... حيث أدوات الحرب وغسل الدماغ والتعذيب تُجرب على الأطفال الأسرى"، إنه عالم نشّطه كما تقول باركس: "الوالدان اليائسان اللذان يستطيعان دفع النقود من أجل السجن الخاص لطفلهما".[15]

بدأ بعض الآباء يوافقون. قالت أم لمراسل **الأسوشييتد برس** إن برنامج ترانكويليتي بي، الذي يكلف ثلاثين ألف دولار في العام، حول ولديها المراهقين إلى أطفال كمثل الذين يتحدث عنهم فيلم ستيبفورد Stepford وقد سحبتهما بعد زيارة مفاجئة وجدتهما فيها نحيلين، مصابين بالقوباء الحلقية، وعليهما ندوب من الحروق الكيماوية، ويلوح "الرعب على وجهيهما".[16] وبنحو مشابه، لخّص محام يمثّل عشر عائلات في دعاوى قانونية ضد برامج مساعدة المراهقين الأمر بهذه الطريقة: "ما يدعونه بالعلاج، أدعوه استغلال الأطفال. فقد جُرد موكليَّ من هوياتهم... لقد قضوا على بعض هؤلاء الأطفال".[17] ويبدو أن بعض المقيمين السابقين المستائين يوافقون. إذا كانت شهادات الممتنين أصيلة، هكذا هي الكراهية أيضاً. وإذا ما قرأنا كلام الناجين ورسائلهم لرأينا أن هذا يشبه، في أحد معانيه، كثيراً قراءة شهادات الآباء: يُشعر بها بعمق بأنها

أصيلة. بتعبير آخر، ليس هناك إنكار أن نوعاً ما من المعاناة الخطيرة قد سُلط على بعض هؤلاء المراهقين.

هل يعمل البرنامج؟ إذا تحدثنا تجريبياً، لا أحد يعرف في الحقيقة، على الأقل ليس بعد. ويلاحظ واينر: "ليس هناك دراسات مطوّلة لألف وخمسمائة شاب ذهبوا إلى ترانكويليتي بي، أو لثلاثمائة من الذين تخرجوا منها"، ويصح الأمر نفسه على المؤسسات الأخرى التي وُلدت أمس. بالنسبة للتنبؤات، يشير المدافعون عن البرنامج إلى نسبة عالية من رضا الوالدين: 95٪ بحسب شخصية صناعية رئيسة. ويتنبأ المهاجمون بدلاً من ذلك بوصول "جيل جديد من الساديين"، كما عبر أحد النقاد عن الأمر. وتُكثر بعض الأسر من مديح المعالجة القاسية الخاصة بالسلوك التي أعادت أولادهم إليهم، ويصفُ آخرون عالماً مرعباً من المراهقين المهجورين والمعذبين حيث يحكم البالغون المستغلون بالقوة.

وإذا ما حكمنا من خلال السجل، يستطيع كلٌّ من الجانبين أن يروي جزءاً من القصة. من ناحية، يتجلى الحزن العميق للأمهات والآباء في قصة بعد أخرى. وما يصفونه سيحطم قلب أي والدين: التحول غير المرغوب، والمتعذر فهمه لطفل الأمس الرؤوف إلى مراهق اليوم الضخم، البعيد، الخارج عن السيطرة، والمدمر ذاتياً في غالب الأحيان. وما يضيف إلى حقيقة هذه القصص هو أن كثيراً من هؤلاء الآباء أنفسهم يدمرون، بنحو متزامن، عالمهم

العاطفي بالطلاق وغيره، ويجعلون راشدين آخرين يفعلون ذلك. وبالنسبة لكثير من الذين يشعرون أنهم مضطرون لنظام المدارس الخصوصية يمثلُ القرار الجذري بإرسال الطفل بعيداً خسارة مزدوجة: نفي المراهق ورحيل الزوج.

من ناحية أخرى، وبنحو مثبت، يسبب ملاذهم الأخير المختار جزءاً من المعاناة أيضاً. فكما يعمل "الحب الفظ" والحرمان المضاعف في تحسين أوضاع أطفال معينين، فإنها أيضاً يصدمان ويؤلمان آخرين. ويشمل هذا المراهقين (وأحياناً الأصغر منهم) الذين أُرسلوا إلى نظام المدارس الخصوصية ليس بسبب المخدرات أو جريمة أو عنف، بل بسبب نسق مختلف من فشل المراهقين: **كانوا في طريق ما احتاج إليه البالغون أو ما أرادوا فعله.**

هؤلاء المجروحون الذين يسيرون، المراسلون المخلصون للوحات بلاغات شبكة الإنترنت الملتهبة، هم على صواب في رغبتهم بوضع اسم لهذه السلسلة غير الموجودة حتى الآن من الجزر المؤسساتية ذات الصلة، والتي أنشئت من أجل المراهقين الذين يعانون من مشكلة، والذين يسببون المشكلات. إنهم مخطئون في تسميتها "معسكر تعذيب"؛ هذا غير عادل لأولئك الذين يمدحون النظام. وبنحو أكثر صحة، هذا الشيء الجديد هو أرخبيل للحجز ـ نسخة 24/ 7 عن تلك التي اعتادت أن تخصص عشرين أو ثلاثين دقيقة في اليوم لمعاقبة الحدث إذا أخطأ.

المشكلة الحقيقية التي يعاني منها المراهقون: إنهم يحتاجون إلينا

كما رأينا في مناسبات عدة في هذا الكتاب، إن الإجماع المحترم للأزمنة هو كالتالي: ليس هناك شيء جديد في الحقيقة تحت الشمس الأميركية حول مشكلات الطفل والمراهقين. فالأطفال كلهم في الحقيقة بخير، أو على الأقل ليسوا أسوأ من قبل. وعلى كل حال يجب عدم لوم الوالدين الغائبين على مشكلات المراهقين. فانتشار المدارس الخاصة يدحض هذه المزاعم بسهولة. فهي بوضوح صحفة بتري(*) تقدم دليلاً على تجربتنا القومية الأكبر بكثير في الفصل بين الأسرة والطفل، ودليلها موح في الطرف الأقصى.

هناك مثال قوي من الحياة الحقيقية ـ معارض للدراسات والتحليلات التي يُؤطر فيها الجدل عادة ـ عن النقطة التي ينكرها الكثير من التفكير الحالي: الروابط السببية العميقة بين الوالدين الغائبين أو المتغيّبين، من ناحية، والأطفال المشوشين من ناحية أخرى. لا يعني قولنا هذا أن جميع الآباء المدفوعين إلى النظام يصح عليهم هذا الوصف. وكما يظهر سجل ألمهم، سيكون ذلك الزعم غير عادل. فضلاً عن ذلك، يعاني بعض الأطفال من مشكلات كريهة، والبعض يُعتنى بهم بنحو أفضل، أو يُحبسون من

(*) صحن زجاجي صغير رقيق ذو غطاء مرن يستعمل بخاصة في المختبرات لزرع البكتريا.

قبل آخرين إذا لم يقم آباؤهم بالفعل. مع ذلك، إنه من المدهش - كلا، إنه مذهل - كم هي واضحة صلة الوالدين الغائبين تقريباً لكل شخص يتفحّص مشهد المدرسة الخصوصية، سواء داخل النظام أو خارجه.

إذا كان هناك أمر واحد تتفق حوله الإرادة المعارضة قانونياً وأخلاقياً، فهو هذا: إن التنشئة الأبوية خارج المنزل هي القوة الرئيسة الدافعة لكل ذلك النمو. ويقول مؤسس جمعية المدارس الخصوصية الشاملة للعالم عن "التفكك في الأسرة" إنه جعل الصناعة تزداد. (ويضيف: "حين لا تعمل الأسرة، يعاني المجتمع"). وقال المدير التنفيذي للجمعية القومية للمدارس والبرامج العلاجية **لآي بي سي نيوز**: "استثمر كثير من الآباء الناجحين المزيد من الوقت في أعمالهم أكثر مما استثمروه في أولادهم، مساهمين في الازدياد السريع لهذه البرامج".[18] وتحدد الناشطة المعارضة للمدارس ألكسيا باركس، بنحو مشابه، الوالد الواحد، والوالدين الذين يعملين، كسببين رئيسيين لنمو الصناعة.[19] ويقول الملخص الخاص لتيم واينر بعد أشهر من التقصي الأمر نفسه: "إن الأسباب التي يوردها الوالدان، والأطفال، والموظفون ومسؤولو البرامج هي أزمات شائعة في حياة الأسرة الأميركية: زواج فاشل، فشل في المدارس، زوجان مسعوران بوظيفتين لا وقت لديهما للأطفال".[20] وتنوه سارا ريمر بنحو مشابه: "يقول بعض الخبراء أيضاً إن بزوغها

يعكس جزئياً فشل جيل من الآباء المتساهلين والمنشغلين. ويوافق على ذلك كثير من الآباء الذين أجريت معهم لقاءات من أجل هذا المقال".[21]

وتطنّ لازمة **الطلاق والدخل المزدوج، الدخل المزدوج والطلاق** كمانترا(*) في الأدبيات. لهذا السبب لا يمكن أن تُعد هذه المدارس على أنها أنشئت حديثاً بسبب الأطفال الأغنياء الذين يعانون من المشكلات فحسب. فالمراهقون الذين ينتهون إليها - نكدون، ساخطون، متبطلون، ذوو شعر أزرق، وغير ذلك - هم بالتأكيد قمة ما قد أصبح جبلاً جليدياً حقيقياً من الاستياء والاستلاب بين عدد مهم من الآباء الغائبين أو المشغولين وأولادهم المراهقين. وبالتأكيد، إن أدبيات الإحالة، بإشارتها إلى "مرض" لدى المراهقين، تفهم الكثير أيضاً. وإذا ما استطاع المزيد من الناس تأمين النقود من أجلها، فمن المرجح أن عدداً كبيراً من المراهقين الآخرين سيمضون سنواتهم الأخيرة قبل الرشد خارج المنزل. وكي نعبر عن النقطة لغوياً: ما تخبرنا إياه عن شدة الطلب هو أنه برغم الدعاوى القانونية، وتقارير التقصي الصحفية الناقدة، واتهامات الاستغلال، فإن المدارس لا تُبنى بالسرعة الكافية؟ وكما قال صحفي آخر عن الظاهرة: "والمفارقة في الأمر أن جميع مواد التلفزيون القومي عن

(*) صيغة مقدسة يعتقد الهندوس أنها ذات قوة سحرية ويستخدمونها في التعاويذ والصلوات.

برامج مساعدة المراهقين، مهما كانت ندية، تؤدي إلى هجمة استقصائية يقوم بها الآباء والأمهات".[22]

إن اتخاذ موقف معارض من وجهة النظر السائدة، والقائلة أن أطفال اليوم هم بخير، هو مثل إطلاق النار على الحيتان في برميل، ولكن مثال المدارس الخصوصية يدفع النقطة إلى المنزل كما لا يفعل ربما مثال آخر. فالوالدان الافتراضيان يسببان مشكلات حقيقية لبعض الأطفال الحقيقيين على الأقل. إذا ما نُظر إليها بهذه الطريقة، تصبح المدارس مؤسسة اجتماعية جديدة، والتي لا تُعرف بوزنها القائم اليوم إلا منذ عقد، وقد أنشئت كي تخفف من صدمة انسحاب الآباء والأمهات.

بهذا المعنى، تشبه المدارس مؤسسات الرعاية النهارية. وكمثل الرعاية النهارية، يمكن ألا تسبب أذى طويل الأمد لكثيرين أو حتى لمعظم الأحداث الذين يمرون فيها. وهي أيضاً مثل الرعاية النهارية، فالمؤسسات الأفضل يمكن حتى أن تقدم خدمة أفضل من خدمة الوالدين. ولكن المدارس الخصوصية تفرض، مثل الرعاية النهارية معاناة فورية وربما أسوأ على بعض الأطفال والمراهقين على الأقل. ورغم أن الأدبيات يمكن أن تنبثق من النهاية العاطفية القصوى للتجربة الخصوصية، يبدو من العدل القول أن مراهقين آخرين في مجموعة متسلسلة يعانون من نتائج مرضية حقيقية رغم أنها أقل، ولكن النتائج المرضية لا تزال حقيقية، تماماً كما يُظهر الأطفال

والصغار المتأثرون من الرعاية النهارية بأنهم يقعون في مجموعة متصلة متسلسلة، تتدرج من الأعلى إلى الأسفل.[23]

لنعد إلى حيث بدأنا، يبقى السؤال في النهاية هو: لماذا الآن؟ ما الذي في زمننا ومكاننا يفسر نمو هذه المدارس الملحوظ؟ هل حدثت، على سبيل المثال، ثورة في المعرفة النفسية جعلتنا نعرف الآن بنحو أفضل كيف نعالج مراهقين كهؤلاء، وأن المدارس الداخلية المعدلة للسلوك هي أمكنة العلاج؟ ليس هذا زعماً تقوم به المدارس بنفسها. رغم أن بعضها مختص في اضطراب العجز عن الانتباه واضطراب العجز عن الانتباه الناجم عن فرط النشاط، واضطرابات سيكولوجية مسماة حديثاً، فإن كثيراً منها هي مجمعات لمراهقين يعانون من مجموعة متنوعة من المشكلات، ومعظمها تزدري العلاج التقليدي. وبالفعل، يشكو نقاد النظام بنحو متكرر من أن معظم الموظفين لا يمتلكون شهادات أو خبرة.

صار عدد لا بأس به من الأميركيين أغنياء إلى درجة تمكنهم من أن يفعلوا ما كان كثير من الآباء يودون فعله مبكراً: إرسال المراهقين الذين يعانون من مشكلات إلى شخص آخر. والأميركيون هم بالتأكيد أغنى اليوم إجمالاً مما كانوا عليه من قبل، وهكذا هناك استساغة ظاهرة للجواب. في الوقت نفسه، إن مجرد امتلاك المزيد من المال لا يشرح الأمر، كذلك. أخيراً، لم يولد شيء كهذا في الفترات السابقة لتحصيل الثروة على نطاق واسع. وكما قال بروفيسور علم النفس من هارفارد ومؤلف تربية قايين دان

كندلون للصحفية سارا ريمر: ما هو مختلف هو أننا " نتطلع الآن إلى المؤسسات كي تفعل هذا الأمر".[24] لم يكن إرسال المراهقين الذين يعانون من المشكلات بعيداً عن المنزل حالة نادرة في التاريخ، كما تشير الثقافة الشعبية على الأقل منذ رواية **هك فين**(*) إلى العرض التلفزيوني الناجح جداً في التسعينيات **الأمير الجديد** لبيلر (وهي كوميديا موقف مبنية بالضبط على ذلك). ولكن إرسالهم بعيداً عن الأسرة إلى أمكنة تُراقب فيها رسائلهم وتُخفض اتصالاتهم الأخرى مع المنزل بصرامة لهو أمرٌ جديد بالفعل ولا يشرحه مجرد امتلاك النقود للقيام به.

ماذا عن اللازمة التي يكررها كثير من الآباء بأن الضغوط على الأطفال اليوم هي كبيرة جداً والمشكلات التي يواجهونها جديدة بحيث أن فصلهم عن ثقافتهم المتعلقة بسن المراهقة سيفيدهم. وتروق هذه اللازمة لأي والد سبق وحاول أن يشرف على الإنترنت، ناهيك عن محاولته معرفة ما هي آخر المخدرات الاستجمامية المتوفرة كثيراً في حفلة للمراهقين. والحقيقة هي أنه إن كانت ضغوط كهذه هي المشكلة، حينئذ هناك سبب يستدعي الانتباه الأبوي أكثر: خذ مفاتيح السيارة، افحص جهاز الكمبيوتر، كن متوفراً في نهاية يوم مدرسي، أو استأجر مدرساً خصوصياً للمهملين. والنقطة هي أن الاستجابة للضغوط الجديدة لا تشرح

(*) وهي رواية للروائي الأميركي مارك توين.

ببساطة وجود المدارس الخصوصية. فمعظم أنماط السلوك التي يرسل الأطفال من أجلها إلى هناك ـ الجنس، المخدرات، الكحول والإهمال ـ هي قديمة قدم التلال الريفية التي بنيت عليها المدارس.

كلا، إن الجواب على سؤال "لماذا الآن؟" هو شيء آخر، وهو واضح كحلق في أنف مراهق. فهذه المدارس هي بنحو غير مقصود تذكارات لأحد أكثر الافتراضات خطأ في زمننا، وأعني فكرة أن جيل اليوم من المراهقين المهملين بنحو واضح هو على ما يرام. إنه ليس كذلك. فهؤلاء المراهقون هم الثمار الأولى للجيل الذي أصبح فيه، إذا تحدثنا ديموغرافياً، عمل الأمهات في الخارج هو المعدل الإحصائي. إنهم أطفال ترعرعوا في زمن صار فيه الطلاق شائعاً، وثمة صراحة في الحديث عنه، بحيث أن فكرة "البقاء سوية من أجل الأطفال" كانت تُذكر بمقت هذا إذا حدث ذلك. فهذا الجيل الذي كان من المفترض أن يعتني بنفسه، وبعض أعضائه، لم يستطع، على ما يبدو، أن يقوم بالأمر. وإذا كان بعض الأطفال الميسورين، الذين ترعرعوا في ذلك الجو، يبدون مثل أولئك الذين يسكنون المدارس الخصوصية، فماذا يخبرنا هذا عمَّا كان يمر به الذين هم في وضع أسوأ؟

ما تكشفه المدرسة الخصوصية في النهاية ليس عيوب قاطنيها، وإنما عيوب عالم راشد قلّص بسرعة فائقة كمية الزمن التي سُمح للأطفال والمراهقين أن يملكوها. في النهاية، نحن نعيش

في مجتمع يعد البقاء في المنزل مع الأطفال والصغار تضحية شخصية مروعة. ففي مجتمع كهذا لن تُخدم الحاجات الزمنية المكثفة لأولئك الأطفال أنفسهم بعد عشر سنوات بالتأكيد، ليس كما يجري العرف، بأية حال، وليس دون كثير من الاستياء الأبوي.

والحقيقة هي أنه ليس الأطفال الرائعون هم وحدهم من يحتاجون إلى أمهاتهم وآبائهم فحسب، وإنما كذلك بعض المراهقين النزقين والشرسين أكثر مما يظن البعض. لا أحد يريد أن يرفع الصخرة الاجتماعية لأنه لا أحد يريد بالفعل أن يعرف ما الذي تحتها. لكن بعض المراهقين المرضى وذوي الحظ السيئ في أرخبيلات للحجز مثل معسكر البحيرة الخضراء وغيره، يحفرونها كل ليلة.

openkandl.com